سقطت مدينة الجزائر يوم 05 جويلية 1830، هذا الحدث السياسي كانت له الكثير من الآثار والنتائج البديهية على كل المستويات سياسيا واجتماعيا وثقافيا واقتصاديا، ومن الناحية الثقافية؛ سنسلط الضوء على بعض الجوانب مثل التعليم وأنواعه وأشكاله خلال العهد الاستعماري، وكذا سياسات فرنسا المختلفة في قطاعات كثيرة مثل الوقف والزوايا والمساجد والطرق الصوفية وغيرها..

## 1. التعليم العربي الحر

فحسب الوثائق الرسمية الفرنسية فإن التعليم العربي كان مزدهرا قبل الاحتلال في كتب الجنرال الفرنسي فالري vallery سنة 1834 قائلا: "..إن كل العرب الجزائريين تقريبا يعرفون القراءة والكتابة حيث هناك مدرستان في كل قرية"[1].

وحسب المقالات والدراسات والتقارير الصادرة عن مصلحة الاستخبارات العسكرية وعلى رأسهم إسماعيل أوربان حيث يقول: "إن عدد العرب الذين يحسنون القراءة والكتابة في سنة 1836 – 1837 يفوق ما يوجد في الجيش الفرنسي المحتل، إن عدد الأميين في الجيش الفرنسي كان يبلغ 45% وعليه كان عدد الأميين يقل عن تلك النسبة"[2].

وقد أشاد الأستاذ ايميريت Emirit أنه في قسنطينة وحدها قبل الاحتلال خمسة وثلاثون (35) مسجدا تستعمل كمراكز تعليم وسبع (07) مدارس ثانوية يحضرها ما بين 600 – 900 طالب و90 مدرسة للتعليم الابتدائي[3] وهو دليل كاف على مدى صدق التصريحات الرسمية حيث قال أحد الفرنسيين أن: "التعليم الابتدائي بالجزائر كان أكثر انتشارا مما كنا نعتقد، علاقتنا بالأهالي في المحافظات الثلاثة بينت أن متوسط الأشخاص الذين يعرفون القراءة والكتابة من جنس الذكور على الأقل مساوية لتلك التي بينتها الإحصائيات المحافظة في فرنسا"[4].

---

[1] أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، 1900 – 1930، ج 2، ط 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1983، ص 65.

[2] Emerit (marcel) Inteertueletmoral en Alger en 1830 revue International "letol Enxeugnement, juillet, septembre 1995, P 40.

[3] Ageron (charle Rebert) Histoire de l'Algérie contemporaine. Paris 1986, P 163.

[4] Ageron (ch, R) Les Algériens musulmans et la France (1871-1909) Paris 1986, P 273.

وقد أشارت أغلبية التصريحات أن نسبة الأمية تكاد تكون منعدمة في الجزائر وقد كان أمام كل مسجد تقريبا مدرسة وكانت كل مدرسة أو زاوية تتوفر على معلم ومكتبة للتلاميذ[5].

وتشير الإحصائيات الفرنسية أن المدارس الحرة سواء كانت مساجد أو كتاتيب أو زوايا قد بلغت في الريف وحده 851 مدرسة يتردّد عليها أكثر من 10 آلاف تلميذ أما في الشمال فيكفي ما جاء في تقرير الجنرال بيجو أن عدد المدارس بأنواعها قد بلغت سنة 1837: تسعين (90) مدرسة في قسنطينة.

أما عن الزوايا فقد كان لها دور هام في حركة التعليم قبل الاحتلال وبعده وكانت الهيكل الرابع إلى جانب المدارس النظامية والمدارس القرآنية والمساجد، إذ كانت في قسنطينة وحدها 06 زوايا[6] إذ أن دورها في حفظ الشخصية ومحاربة الاستعمار لا ينكره إلا الجاهل، وكان فضلها كبير وخاصة في مناطق الوسط والجنوب أين قلت المدارس المذكورة آنفا أين ركزت فرنسا سياستها الاستعمارية[7].

فإن الكثير ممن درسوا التعليم العربي قبل الاحتلال اندهشوا من ازدهاره وكثرة المدارس وحرية التعليم ووفرة الوسائل التعليمية، رغم أن الثقافة في تلك الفترة كانت ضعيفة من ناحية المؤلفات المبتكرة لكنها ظلت على الساحة الاجتماعية وهذا بشهادة الفرنسيين أنفسهم[8].

وهكذا استمر التعليم العربي الإسلامي يقوم بدوره إلى أن وطأت أقدام الفرنسيين أرض الجزائر، حيث عملت على طمس مقومات الشخصية الوطنية بكل وسائلها، وبدا التعليم بعد ربع قرن يتراجع في المساجد والكتاتيب ولم يبق سوى الزوايا التي خرج إليها التلاميذ طالبين العلم.

لقد كان التعليم يعطي في الزوايا والمساجد التي كانت أمكنة للعبادة إلى جانب اعتبارها مراكز للتربية والتعليم والتي كانت تحت سلطة الجمعيات الدينية، وفي المدارس، وقد كان التعليم حرا على جميع المستويات لأن الأساتذة كانوا يتقاضون مرتباتهم من الأوقاف[9].

---

5 Turin yuon: Affrontements Culturels dans l'Algérie colonial 1830 – 1880 Alger 1971, P 73.

6 أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 39.

7 أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1998، ص 38.

8 German Roger: La politique indigène du Bugeaud, Paris 1955, P 25.

9 أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 23.

ولعل أحسن دليل على ازدهار حركة التعليم في هذه الفترة مدينة العاصمة وما احتوته من مدارس وأساتذة فمثلا بلغ أساتذة المسجد الكبير بالعاصمة 19 عشر أستاذا منهم الشيخ المفتي محمد بن الشاهد مفتي المالكية.

وإذا انتقلنا إلى الشرق الجزائري (قسنطينة) وجدنا بها علماء أجلاء قائمين بدروس مختلفة في العلوم العربية نخص بالذكر الشيخ محمد بن علي الطلحي، الشيخ عامر بن شريط، الشيخ محمد مبارك مفتي المالكية[10].

وإذا أردنا الحديث عن كيفية التعليم فقد كان مقسما إلى ثلاث مستويات، الابتدائي والثانوي، والعالي، وكان يعتمد على أوقاف الخيرية[11]، أما المعلمون فقد اعتمدت شهرتهم على العلم والأخلاق والسلوك ويتقاضون روانيهم من مداخيل الأوقاف، فقد كان في العاصمة وحدها ثمانية آلاف عقا، تابعة للأوقاف الإسلامية.

## موقف فرنسا من التعليم العربي الحر

رأت فرنسا في التعليم وسيلة مثالية لتحقيق مشاريعها الاستعمارية[12]، عست لتحقيق أهدافها، وذلك عن طريق سياسة:

1. تجهيل الشعب، ليسهل تسييره، إن كل ذلك لا يتأتى إلا بالقضاء على التعليم العربي الحر وروافده من لغة وقف ومؤسسات تربوية ودينية ومضايقة للمعلمين ومحاربة لهم[13]، ولذا تم الاستيلاء على التعليم العربي الحر وهكذا قام النظام الاستعماري الفرنسي منذ بدايته على سياسة تجهيل قصد القضاء على دعائم المجتمع الجزائري المتمثلة في اللغة العربية والدين الإسلامي[14].
وعن طريق سياسة:

2. الإدماج: لقد كانت فرنسا تسعى إلى دمج المجتمع الجزائري في المجتمع الفرنسي وكل ذلك لا يتأتى إلا بالقضاء على اللغة الوطنية ونشر التعليم الفرنسي بغرض تحويل المجتمع الجزائري إلى مجتمع يخدم مصالحها ويسير في ركابها، وفي النهاية تتمكن فرنسا من السيطرة على الوضع وتركز نفوذها في البلاد ويتقبل السكان نظامه[15]، ولقد سعت من خلال التعليم إلى تكوين مجتمع منفصل عن مقوماته قصد تحويله إلى مجتمع مدمج في الحضارة العربية والثقافة الغربية،[16]ولأجل ذلك

---

10 Emirit (mariel) opcit P P 42- 44.

11 أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص23.

12 رابح تركي: مرجع سابق ، ص133.

13 TURIN (YVON). OPUT; P253.

14 محمد البشير الإبراهيمي: آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د/ت، ص333.

15 TURIN (YVON). OPUT; P165.

16 عمار الطالبي: ابن باديس حياته وآثاره، ج1، دار الغرب الإسلامي ،ط2، بيروت لبنان، ، 1983، ص48.

عملت على الاستيلاء على التعليم العربي وإحلال التعليم الفرنسي محله لا لترقية الجزائريين وتثقيفهم أو لرفع مستواهم وإنما ليسهل، إدماجهم[17]، ولتكوين فئة موالية لهم وتعمل لصالحهم، وينسون ماضيها.

كما قامت فرنسا بالمصادرة والنهب للمؤسسات التعليمية، فمثلا كان في مدينة الجزائر عام 1830 حوالي 13 مسجدا و32 قبة وزاوية وفي 1862 لم يبق قائما منها إلا 67 مؤسسة 19 مسجدا، و15 قبة، 5 زوايا، لا تعمل منها سوى 21 مؤسسة وبعد 1862 تعرضت هذه المؤسسات إلى تدهور خطير.[18]

وعموما انتهجت فرنسا سياسة تعسفية ضد التعليم العربي الحر فأصيب هذا الأخير بفتور خلال القرن التاسع عشر[19].

– كما منعت تدريس أبواب الجهاد من الفقه الإسلامي والتاريخ الجزائري وراقبت الكتب المستعملة[20].

– وأصدرت جملة من المراسيم لمحاصرة التعليم العربي الحر مثل المعاقبة وفق قانون الأهالي الصادر في 25 جوان 1890 على فتح مؤسسة دينية أو مدرسة تعليمية بدون إذن[21].

– واتبع هذا المرسوم في 18 – 10 – 1892، يقضي بعدم فتح مدارس عربية إلا برخصة من الحكومة وتذرعت الإدارة بهذا المرسوم وأغلقت عددا من المدارس.

وفي 1904/12/24 صدر قانون فرنسي محضر على أي جزائري إدارة مؤسسة عربية أو كتاب لتعليم القرآن إلا بترخيص خاص من عامل العمالة (المحافظ) أو الحاكم العام في المناطق ذات الحكم العسكري[22] .

وما نستنتجه أن فرنسا استعملت جميع العراقيل وقاومت التعليم العربي الحر بكل الوسائل[23].

---

17 رابح تركي: مرجع سابق، ص136.

18 شارل اندري جوليان: افريقيا الشمالية تسير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية ترجمة المنحى سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر سنة 1976، ص 126.

19 نفسه.

20 Devoulx: Opcit pp 374.

21 عمار هلال: "الطلبة الجزائريون في الأزهر 1916 في مجلة الثقافة – الجزائر العدد 79 السنة 14 جانفي، فيفري 1984، ص 128.

22 رابح تركي: عبد الحميد بن باديس، فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، ص 155.

23 يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص25.

## 2. التعليم الرسمي ومراحله.

في الوقت الذي حاربت فيه فرنسا التعليم العربي الحر وراقبت مؤسساته ورجاله ومحاولة توجيهيه نحو أغراض المستعمر[24]، ومضايقة المعلمين واضطهادهم[25].

انتهجت السلطات الاستعمارية تعليما رسميا تقوم بتموينه وتنظيمه وتأطيره وتفتيشه[26]، لقد رأت السلطات الاستعمارية في التعليم وليلة للتوسع الاستعماري و تحقيق الإدماج، ولذا:

- عملت على نشر الفرنسية على نطاق واسع[27].
- محاولة المزج بين العناصر البشرية المختلفة، بفضل اختلاط الأطفال في المدارس وبهذه الصورة تتكون وحدة شاملة بين شعبين متضادين[28].
- وقامت بتقسيمه إلى مراحل:
  أ- المرحلة الابتدائية وظل التعليم مقسما إلى قسمين.
  - ❖ التعليم الرسمي الخاص بالأوروبيين.
  - ❖ التعليم الخاص بالجزائريين.

واستمر هذا التمييز بين للتعليم إلى غاية صدور قانون **1847/09/20**، حيث أدمج التعليمين في تعليم واحد[29].

☒ التعليم الرسمي الخاص بالأوروبيين:

أنشأت السلطات الاستعمارية في هذا الإطار مدارسا ابتدائية على نفس نمط المدارس الابتدائية الموجودة في فرنسا[30] والتعليم فيها مجاني وإجباري وموجه لسائر أبناء الأوربيين[31].

---

24. Tyrin (yvom) opcit. P72 .
25. Ibid. p20.
26. ابن القبي عيسى: مرجع سابق، ص36.
27. Tyrin (yvom) opcit. P210 .
28. Tyrin (yvom) opcit.P213.
29. ابن القبي عيسى: مرجع سابق، ص36.
30. نفسه، ص 136.
31. رابح تركي: المرجع السابق، ص 136.

وكاستثناء سمح لفئة جد قليلة من الجزائريين كي تلتحق بهذه المدارس التي وفرت لها كل الإمكانيات المادية والبيداغوجية[32]، وقد أنشئت هذه المدارس في أماكن وجود الجالية الأوربية كتشجيع لهم[33] وظلت تتطور باستمرار[34].

وتبين من خلال هذه المدارس أن:

1 – الزيادة في عدد المدارس كانت مرتفعة تماشيا مع زيادة عدد المستوطنين الذي ظل يزيد بسرعة عكس المدارس المخصصة لأبناء الأهالي التي إنشاؤها ظل بطيئا.

2 – إن فرنسا اهتمت بتأسيس مدارس الأمومة للمستوطنين تحفيزا لهم وتشجيعا لاستقرارهم.

3 – إن هذه المدارس أنشأت في الأماكن التي تمر التوسع فيها، ثم وضعت فيها مراكز تجمع للمستوطنين، فهي المنطقة التلية وأماكن الأراضي الخصبة عكس الصحراء التي وصل إليها التوسع فيما بعد.

---

32 عيس ابن القبي: المرجع السابق ص 36.

33 رابح تركي: المرجع السابق، ص 137.

34 للمزيد أرجع إلى رابح تركي المرجع السابق، ص 137.

## ☒ التعليم الرسمي الخاص بالجزائريين

لتحقيق أغراضها الاستعمارية أنشأت فرنسا مدارسا لتعليم الجزائريين[35]، ولكن ما ميزها عن المدارس المخصصة لتعليم أبناء الأوربيين هو ضعف مستوى التعليم فيها.

وقد كان الهدف من إنشائها هو:

- النكاية في اللغة العربية[36]
- تكوين أفراد وعمال في المزارع والوظائف الادارية والمشاريع الاستعمارية.
- إيجاد جماعة من أبناء بعض العائلات تصبح نواة لمجتمع مندمج وطيع.

أما مضمونها: فقد كانت تقدم دروسا في اللغة العربية والفرنسية، لكن التركيز كان على اللغة الفرنسية، وتدريجيا همشت اللغة العربية تحت ذرائع واهية كعدم وجود العدد الكافي من المدرسين[37].

وقد عرفت هذه المدارس زيادة في الأقسام وارتفاع في عدد التلاميذ في عهد نابيلون III (1848 – 1871)[38] والجدول يوضح ذلك

| السنة | التلاميذ | المدارس |
|---|---|---|
| 1850 | 646 | / |
| 1870 | 13000 | 36 |

- يبدو من خلال الجدول التطور في عدد التلاميذ وهذا يدخل في سياسة[39] نابيلونIII الرامية إلى إدماج الجزائريين.

---

35 عيسى ابن القبي: المرجع السابق، ص 36.

36 رابح تركي: المرجع السابق، ص 137.

37 نفسه، ص 136.

38 نابيلون الثالث (1808 – 1873) Napoléon III رئيس الجمهورية الفرنسية الثانية ما بين (1848 – 1852) ثم إمبراطورا ما بين 1852 – 1870 ثالث أبناء دورتونس بوهاروني ولويس بونبارت ملك هولندة، تلقى تكوينا عسكريا في مدرسة "نون" بعد وفاة الدوق رشتاد سنة 1832، نفي إلى أمريكا ثم إلى سويسرا، وبعد ثورة 1848 عاد إلى فرنسا وعين رئيسا في 10 ديسمبر 1848، عين إمبراطورا لفرنسا في أكتوبر 1852 تحت اسم نابيلون الثالث، ثم تزوج سنة 1853 من السيدة أوجيني دو منتيخو وله طفل واحد يدعى "أوجيني لويس نابيلون" دعى سنة 1853، من بريطانيا إلى مؤازرة الدولة العثمانية ضد روسيا، خاض عالم العمال واعترف بحق الإضراب سنة 1864، عجلت حرب 1870 بسقوط إمبراطوريته، توفي في بريطانيا سنة 1873- أنظر:
GRAND DICTIONNAIRE –ENCYCYCLOPEDIE LAROUSSE. Paris, tome: 07, 1983, p.7275.

39 ساطع الحصري: حولية الثقافة العربية: السنة الثانية (1950 – 1954) جامعة الدول العربية – دار الرياض للطبع والنشر، ص 561.

وإذا قارنا بين المدارس المخصصة لأبناء الأوربيين والمدارس المخصصة لأبناء الأهالي من حيث عدد المدارس والتلاميذ والبرنامج والميزانية المخصصة وعدد المدرسين ندرك الفوارق الكبيرة بينهما. وبعد الأهداف التي أنشأت من أجلها كل مدرسة.

- **المرحلة الثانوية والعالية**

لم يكن التعليم الثانوي منقسما كالتعليم الابتدائي إلى مدارس خاصة بالأوربيين وأخرى خاصة بالجزائريين، بل كانت أصلا مخصصة للأوربيين مع الإذن للجزائريين المحظوظين بدخول الكليات[40] لمتابعة دراستهم العليا[41].

وثانيها في قسنطينة، وثالثها في وهران.

ومواصلة الدراسة فيها كان مرتبطا بالحصول على الشهادة الابتدائية وعدم تجاوز عمر التلميذ سن الثانية عشر عاما. ونظرا لكون الجزائريين لا يدخلون المدارس الابتدائية في سن السابعة من عمرهم غالبا ونظرا لعدم وجود عدد كاف من المقاعد فإنهم يضطرون إلى التناوب على الأقسام. وبالتالي يدرسون نصف البرنامج المخصص لهم، حيث محتواه العلمي أقل مستوى من البرنامج المخصص لأبناء الأوربيين وأمام الأسئلة يجدون صعوبة في اجتياز الامتحانات وتكون نهاية أغلب أبناء الجزائريين الفشل والإقصاء[42] كما أن التعليم في هذه المرحلة لم يكن مجانيا الشيء الذي كان يؤثر على رغبة الفقراء في متابعة دراستهم.

أما المبالغ المخصصة للتعليم في الجزائر فقد كانت في أغلبها من نصيب أبناء الأوربيين[43].

وأمام كل هذه الحواجز إضافة إلى موقف المستوطنين الذين يرون في تعلم أبناء الجزائريين خطرا[44] عليهم وطالبوا السلطات المسئولة بإلغاء التعليم الابتدائي.

وهو ما جعل وتيرة تمدرس الجزائريين تسير ببطء وهو ما يوضحه الجدول التالي:

| السنة | عدد الطلبة الجزائريين في المدارس الثانوية |
| --- | --- |

[40] أحمد الخطيب: المرجع السابق، ص 69

[41]. للمزيد عن عدد الثانويات ارجع الى أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص ص200-201.

[42] رابح (تركي): التعليم القومي والشخصية الوطنية، ص 168.

[43] أحمد الخطيب: المرجع السابق، ص 69.

[44] نفسه، ص 70.

| | |
|---|---|
| 1886 | 115 |
| 1899 | 86 |
| 1914 | 386 |

[45]

أما برنامجه الدراسي فهو تابع أيضا لفرنسا وإنما فيه مكان ضيق جدا للغة العربية[46].

أما لغة التدريس فكانت اللغة الفرنسية أما اللغة العربية فهي لغة أجنبية، كما إنها قسمت إلى عربية فصحى وعربية دارجة، ويدرسها أولئك مدرسون الذين تعنيهم الإدارة بالمساجد[47].

ومن هنا وتنفيذا لهذه السياسة صدر في 1850/09/30 مرسوم من الحكومة الفرنسية يقضي بإنشاء ثلاث مدارس إسلامية عليا في المدية وتلمسان وقسنطينة وبعد أن خضعت لإعادة التنظيم أصبحت مدة الدراسة بها أربعة (04) سنوات في القسم الابتدائي وسنتين في القسم العالي محدودا[48].

وظل الإقبال على هذه المدارس[49] ضعيفا نظرا لضعف التعليم العربي بها رغم أنها أسست من أجل تخريج مختصين في الدراسات الإسلامية والعربية ليتولوا شؤون الإمامة في المساجد والإفتاء للمسلمين والقضاء والتدريس باللغة العربية والترجمة باللغتين في الإدارات والمصالح الحكومية[50].

أما عدد طلبة هذه المدارس الثلاث بقسميها الابتدائي والعالي قليلا وكان عدد الناجحين أقل، وذلك راجع إلى:

1 – أن القبول بها ظل محدودا.

2 – الإقبال عليها كان ضعيفا.

[45] أحمد توفيق (المدني) المرجع السابق، ص 295.

[46] عيسى (ابن القبي)، المرجع السابق، ص 39.

[47] أحمد توفيق (المدني)، المرجع السابق، ص 296.

[48] أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، 22، ص 302.

[49] رغم صدور قرار إنشائها في عام 1850 إلا أن بناءها تأخر إلى قرب نهاية القرن التاسع عشر بين 1898 و1901، وللمزيد حول هذه النقطة من حيث شروط الالتحاق والمواد المدرسة إرجع إلى: رابح تركي: المرجع السابق، ص 150.

[50] نفسه ص 151.

والجدول التالي يؤكد عدد الناجحين[51].

| السنة | عدد الناجحين |
|---|---|
| 1904 | 11 طالبا |
| 1906 | 12 طالبا |
| 1908 | 13 طالبا |
| 1910 | 15 طالبا |

[51] عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 218.

**– مرحلة التعليم العالي**

لم تهتم السلطات الاستعمارية في البداية بالتعليم العالي، فالمعمرون كانوا يرسلون أبنائهم للدراسة في فرنسا.

ولكن مع زيادة حركة الاستيطان بدأت تظهر الحاجة إلى إحداث مؤسسات للتعليم العالي[52] فأوجد في مدينة الجزائر جامعة علمية شملت عدة كليات أولها كلية الحقوق وكلية الطب وكلية الآداب[53].

ولقد كان التعليم العالي مبدئيا مخصصا للأوربيين مع الإذن للجزائريين المحظوظين بدخول الكليات لمتابعة دراستهم العليا، وقد كانوا قلة 20.

وأول خطوة اتخذت في هذا الاتجاه تتمثل في كلية الطب التي تأست عام 1857 ثم تتبعتها مدارس وكليات أخرى[54] اعتبرت فيما بعد النواة الأولى للجامعة الجزائرية التي تأخر تأسيسها إلى عام 1909 وعندئذ تحولت هذه المدارسة العليا إلى كليات تابعة لها[55] وبذلك أصبحت في مدينة الجزائر جامعة علمية تشمل على عدة كليات[56].

ونظرا لكون سياسة فرنسا كانت تعتمد على سياسة التجهيل[57]، فإن الجزائريين لم يستفيدوا من هذه الجامعات التي أقيمت في بلدهم ولم تتح لهم الفرصة كأبناء المستوطنين[58].

فخلال سنة 1907 – 1908 كان عدد الطلبة الجزائريين يتوزع كالتالي في الجامعة حسب الكليات[59]:

| مدرسة الحقوق | مدرسة الطب | مدرسة الآداب |
|---|---|---|
| 25 | 12 | 10 |

52 عيسى ابن القبي، المرجع السابق، ص 41.

53 أحمد (الحطيب): المرجع السابق، ص 69.

54 أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، ص 310.

55 نفسه.

56 أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 296.

57 رابح تركي: الجالية الجزائرية في أوربا وخاصة فرنسا – مجلة الثقافة العدد 93 السنة 16 ماي وجوان 1986، ص 42.

58 نفسه.

59 عمار هلال الطلبة الجزائريون في الأزهر 1916، مجلة الثقافة العدد 79، جانفي – فيفري 1984، ص 127.

فإذا كان التعليم في مراحله السابقة بطيئا، ففي هذه المرحلة كاد ينعدم وإذا علمنا أنه حتى 1914 لم يتحصل على شهادة البكالوريا سوى 34 جزائريا وعلى شهادة الليسانس سوى 12 جزائريا[60] ندرك جيدا الأسباب الحقيقية التي هاجر من أجلها الجزائريون إلى فرنسا، فإننا نستنتج ما يلي:

1 – البطء الشديد في تطور عدد الطلبة في التعليم العالي بفعل الحواجز التي وضعت في مرحلة التعليم الابتدائي، وبفعل الظروف المادية للجزائريين.

2 – أن التعليم العالي وإن فتح أمام الجزائريين أبناء الخيم الكبيرة، فإنما لهدف منه تكوين فئة تخدم المصالح الاستعمارية.

3 – ظل نصيب الجزائريين من هذه المرحلة من التعليم محدودا وبعيدا عن تلبية حاجياتهم والتناسب مع نموهم الديموغرافي[61].

4 – رغم العراقيل[62] وظروف الجزائريين ورغم ظروف الحرب العالمية الأولى (1914 – 1918) ورغم الأخطار واستمرت هجرة الطلبة يالجزائريين إلى الخارج[63] والتي كان العامل الثقافي أحد أسبابها.

---

[60] رابح تركي: المرجع السابق، ص 43.

[61] عمار (هلال): أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر العاصمة (1830 – 1962) سلسلة المعرفة، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر 1995، ص 154.

[62] مثل قانون 15 / جويلية 1914 الذي ألغي نهائيا رخص الخروج إلى الخارج.

[63] عمار هلال: المرجع السابق، ص 154.

**ث– التعليم التقني:**

يبدو أن سياسة فرنسا في مجال التعليم الابتدائي، إنما كانت تهدف إلى استعمالها كمرحلة تمهيدية تحضيرية للتعليم المهني (التقني) وذلك قصد إيجاد يد عاملة مؤهلة ورخيصة خاصة في الفلاحة ولعل أهم ما يبرز هذه الرؤية تقرير رئيس أكاديمية الجزائر "جان مير Jeane maire" خلال ثمانينات القرن 19، والذي جاء فيه على وجه الخصوص (إن التعليم يجب أن يكون موجها أكثر في الاتجاه المهني.. لكن من جهة أولى لا يمكن للتعليم المهني أن يأتي دون أن يسبقه التعليم الابتدائي الأولى)[64]. غير أن هذه السياسة اصطدمت بلاءات المعمرين الذين راحوا يكيدون ويصطنعون العراقيل، ويدسون الدسائس لعرقلة هذا النوع من التعليم لأن فيه خطرا على وجودهم، وزعزعة استقرارهم، خاصة وأن المتعلم تقنيا بإمكانه أن يقوم بنشاط من شأنه أن يهدد صناعتهم وتجارتهم وفلاحتهم، وبالتالي يتفوق عليهم وينافسهم، ومن جهة أخرى فإن اليد العاملة المؤهلة تحتاج إلى أجرة مرتفعة، والجدول التالي يعبر أحسن تعبير على هذه الخلفية:

| مراكز التكوين | فرنسيون | جزائريون | المجموع |
|---|---|---|---|
| المدرسة الوطنية للفلاحة | 74 | 00 | 74 |
| المدرسة الجهوية بسيدي بلعباس | 72 | 03 | 75 |
| المدرسة الفلاحية بسكيكدة وقالمة وعين تموشنت | 103 | 26 | 129 |
| مراكزالتكوين المهني الفلاحي | 11 | 43 | 54 |
| مراكز الشؤون المنزلية الفلاحية | 116 | 05 | 121 |
| المعهد الصناعي بالحراش | 73 | 02 | 75 |
| المدرسة الصناعية بدلس | 145 | 07 | 152 |
| المعاهد التقنية بالجزائر | 1453 | 269 | 1713 |

64 عبد اللطيف بن أشنهو، تكون التخلف في الجزائر: ترجمة مجموعة من الأساتذة، د.ط الجزائر 1979، ص 480.

| | | | |
|---|---|---|---|
| المجموع | 1671 | 355 | 1940[65] |

باستنطاق هذه الأرقام نستنتج سياسة فرض الأمر الواقع من طرف المعمرين الذين استأسدوا على السواد الأعظم من الشعب الجزائري وانتزعوا منه كل ما يملك، وهضموا حقوقه، بل حولوا أفراده إلى عبيد، وحطموا ما بين يديه، وجردوه حتى من تلك الصناعات والحرف التقليدية التي كان يزخر بها الوطن[66].

[65] أحمد محساس، "التعليم والثقافة في الجزائر"، في الثقافة، عدد 85، جانفي / فيفري 1985، ص 68.

[66] محمد يعيش، كبرى اهتمامات جريدة النجاح القسنطينية 1919 – 1956 مخطوط رسالة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر – معهد التاريخ السنة 2001، 2002، ص 82.

**ج– تعليم البنات:**

تفطنت إدارة الاستعمار منذ السنوات الأولى للاحتلال أن الاهتمام بالمرأة الجزائرية سيذلل عقبات التغلغل داخل المجتمع الجزائري بطرق سلمية، فراحت تشجع على كسب ودها بشتى الوسائل انطلاقا من تخصيص بعض المدارس للبنات الجزائريات تارة، وتشجيع الأخوات البيض للاتصال بالنساء الجزائريات في بيوتهن تارة أخرى، ثم عن طريق الطب، وتربية اليتامى من الفتيات الجزائريات وتمسيحهن وغيرها من الوسائل التي تزامنت مع العمليات العسكرية، وكانت المجاعات التي عرفتها الجزائر خاصة سنة 1867 / 1868 من أحسن الفرص التي استغلها الكاردينال لافيجري لجمع حوالي 1750 طفلا وطفلة ورباهم تربية مسيحية[67].

كانت المبادرات الأولى لتعليم المرأة الجزائرية من طرف نساء فرنسيات ادعين الدفاع عن حقوق الإنسان، وفي هذا الشأن يذكر أن أول مدرسة لتعليم البنات الجزائريات أنشئت سنة 1848 من طرف امرأة تدعى "أليكس Alix" وكانت متخصصة في الطرز والإبرة ظاهريا، أما باطنيا فكانت مختصة في نشر المسيحية[68].

وكان الوجه الآخر للمارشال بيجو تشجيع التغلغل بطرق سلمية، فكان تعليم المرأة الجزائرية وتمسيحها أحد أهدافه، وعلى عهده أنشئت أول مدرسة رسمية للبنات "ورشة" سنة 1847، أما مرسوم 1850 السابق الذكر فقد نص على إنشاء ثلاث (03) مدارس للبنات في كل من قسنطينة والجزائر ووهران، وكان الهدف كما ذكر سعد الله نقلا عن ج ميرانت في "كراسات الاحتفال المئوي" محو التعصب الديني والكراهية عن طريق التعليم بالفرنسية والحضارة والتقدم.

وفي تقرير الولاية العامة المقدم من طرف شفود السابق الذكر أشار إلى إنشاء مدرسة للبنات سنة 1887 بالأربعاء ناث إراثن، ضمت أربعين (40) بنتا، كن يتعلمن الخياطة والطرز والشؤون المنزلية مع تحصيل جانب وافر من اللغة الفرنسية والحساب والجغرافيا، تخرجت منها –يضيف التقرير– أول معلمة جزائرية مساعدة، ولاحظ التقرير أن تعلمي البنات كان في تناقص مستمر مفسرا ذلك بالعادات والتقاليد الجزائرية، حيث كان العرف يقتضي أن تحجب البنت لما تبلغ سن الثامنة (08)[69]، ونسي صاحب التقرير أن يذكرنا بعمليات الاختطاف التي كانت تتعرض لها البنات

---

67 حباسي شاوش، من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي في الجزائر، 1830 / 1962، دار هومة، الجزائر، 1998، ص 32.

68 سعد الله، مرجع سابق، ص 442.

69 قسم التحرير، "التعليم الابتدائي الإسلامي"، النجاح، عدد 3584، 1948/12/14، السنة 28، ص 1.

الجزائريات من طرف الأخوات، مثلما وقع سنة 1870 حينما حاولت الأخوات اختطاف بنتين جزائريتين من منطقة القبائل[70] فضلا عن كون البنت أكثر عرضة للانسلاخ من الذكر.

وبمساعدة الأخوات البيض ظهرت ورشات أخرى في كافة أنحاء الوطن، وفي إطار التنافس بين المذهبين الكاثوليكي والبروتستانتي سمح لمبشرات بروتستانتينيات انجليزيات بإنشاء ورشات مماثلة ابتداء من سنة 1909.

والجدول التالي يبين تطور عدد الفتيات الجزائريات الدارسات بالمدارس الرسمية[71]

| السنة | عدد المدارس | عدد الدارسات |
| --- | --- | --- |
| 1882 | 03 | 358 |
| 1907 | 12 | 2184 |

[70] حباسي شاوش، مرجع سابق، ص 33.

[71] قسم التحرير، "المراة المسلمة والتعليم"،النجاح عدد 1059، 03 / 1928، السنة 7، ص 1.

## سياسات فرنسا تجاه الدين والثقافة والمؤسسات الدينية والثقافية

### 1 – سياسة فرنسا تجاه الزوايا وتحريف رسالتها وتدجين رجالاتها:

كانت الزوايا والمساجد من المؤسسات التعليمية والدينية قبل وبعد الاحتلال ورأى فيها الاستعمار الفرنسي عائقا في وجه سيطرته وسياسته[72].

فقدم المستعمر بإغلاق العديد من الزوايا بدعوى أنها أصبحت مصدرا للتمرد على سلطة القانون مثل الزاوية الرحمانية بصدوق[73]، وثم الاستيلاء على زوايا كثيرة فلو أخذنا مثلا في مدينة الجزائر العاصمة استولى الاستعمار في العامين الأولين من الغزو على:

- زاوية سيدي الصيد.
- زاوية بتكتة.
- زاوية كتشاوة.
- زاوية الكشاشي بالمرسى.
- زاوية الانكشارية بالقصبة.
- زاوية تشيكيتون.
- زاوية الانكشارية القديمة.
- زاوية محمد ميزومورثو[74]

والكثير من الزوايا قام بتخريبها ليس في العاصمة فقط، بل في كل أرجاء الوطن.

والكثير منها تعرض إلى الغلق بحجة عدم صلاحيتها أو عدم وجود رجصة.

---

[72] يحي بوعزيز: أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ص 24.

[73] ناصر الدين سعيدوني:
- الوقف ومكانته في الحياة الاجتماعية والثقافية أواخر العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي: بحث قدم في مؤتمر تاريخ الحضارة العربية الإسلامية المنعقد بجامعة دمشق – مجلة الأصالة، العدد 89 / أفريل السنة العاشرة جانفي – فيفري 1981 ص 100.

[74] نفسه، ص 104.

ونظرا لما لها من تأثير روحي وديني، فإن الاستعمار الفرنسي لم يكتف بالهدم والغلق فحسب، بل قام بمصادرة أملاكها وضم مداخيلها إلى الأملاك الفرنسية[75] ووضع الزوايا تحت المراقبة. وواجه رجالها بالبطش والتنكيل[76]، والمراقبة[77].

ورغم كل هذه الإجراءات رأت فرنسا إنه لا يمكنها القضاء على الإسلام في الجزائر وبالتالي، فإن هذا الدين سيؤدي إلى زوالها[78].

ولهذا عمدت إلى الإبقاء على إسلام مكيّف وفقا لأهدافها وينسجم ومخططاتها وذلك عن طريق إفراغه من محتواه وتحويله إلى مجرد طقوس خرافية[79].

ولتحقيق ذلك توجهت إلى الزوايا ومارست الضغط عليها والتفريق بينها لمنع أي تحالف وتشجيع الخلافات بينها[80]، الدخول مع بعضها في مفاوضات انتهت باتفاقيات اعترفت فرنسا بموجبها بسلطتها المالية والمعنوية مقابل المحافظة على الأمن وذلك يعني منع أتباعها من الثورة[81].

ثم عمدت السلطات الاستعمارية إلى تدجين بعض مشايخ الزوايا فاستغلوا استسلام البعض منهم واستغلال تعاونهم معها وخدمتهم لها. وقاموا بتوظيف بعض المشائخ الذين رضوا بالتعامل معها وعملوا على تفتيت القيادة الواحدة في الأسرة الدينية الواحدة فجعلوا الابن ضد أبيه والأخ ضد أخيه والمقدم ضد شيخه، كما جعلوا من بعض المرابطين قيادا ومنحوهم امتيازات وأحاطوهم بالعيون والأبهة[82].

وزوجوا البعض بفرنسيات كما هو الحال بالنسبة للشيخ أحمد التيجاني.

ثم عملوا على كسب بعض المرابطين وشيوخ الزوايا وأئمة الإسلام، ممن قيل أن يكونوا أداة طيعة في يد الاستعمار.

---

75 أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، ص 173.

76 نفسه 173.

77 انظر الملحق رقم 06.

78 أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص 112.

79 أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية (1900 – 1930)، ص 65.

80 كما حدث بين زاوية صدوق وزاوية الشيخ محمد أمزيان، وبين زاوية صدوق وزاوية شلاطة.

81 أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 65.

82 وجهت دعوة لشيخ زاوية شلاطة لحضور حفلة زواج نابليون 3 في كومبين Compiégne.

فاستمالوهم وغذوا فيهم روح التفسخ الديني والخلقي وأغدقت عليهم بالأموال ليقيموا الحفلات لتسيطر من خلالهم على شعائر الإسلام، كما شجعوا على انتشار البدع والخرافات وأعمال الشعوذة وبهذه الطريقة تمكنت فرنسا من القضاء على خطر الإسلام وتحويله إلى أداة خمول وسكون واستسلام للجزائريين ثانيا ودفع الأجيال الجزائرية المثقفة إلى النفور من الإسلام الخرافي، وبالتالي سيرتمي في أحضان فرنسا ثالثا[83].

كما تمكن الاستعمار من اختراق بعض الطرق الصوفية وجندها لخدمته وحولها إلى مراكز جهل ومروق عن الدين[84] ونجح في تدجين البعض منها، مثل زاوية عين ماضي التيجانية، وانتشرت الخرافات والشعوذة لدى بعض الزوايا وزاد الاعتقاد الخاطئ[85]، وسيطرت الطرقية وساد الظلام، وخيم الجمود وكثرت البدع واستسلم الناس للقدر، وأصبحوا إذا سئل أحدهم عن حاله أجاب، *نأكل القوت ونتسنى الموت*، هذه الظاهرة الاجتماعية أدت إلى تعطيل الفكر وشل جميع الطاقات[86]. وزالت الهيمنة الروحية وأصبحت الطرق الصوفية رمزا للدروشة والدجل بعدما كانت رمزا للعلم والجهاد[87].

ونجحت فرنسا في التأثير على بعض زعماء الطرق الدينية بعدما دجنتهم واشترت ذممهم[88].

ولم يبق للمشايخ سوى فسحة بسيطة من التأثير الروحي، ولم تعد تستمد قوتها إلا من الغموض والخرافات المهولة، فبدل أن يتولى زعماء الجمعيات الخيرية القيادة الوطنية والسياسية كما فعل الأمير عبد القادر انغمسوا في المرابطية تاركين للفرنسيين يدا حرة في الجزائر مساعدين لهم، عن وعي أو غير وعي بتسلطهم الخرافي على عقلية الفلاحين[89].

ورغم الانتشار الواسع للشعوذة واختراق الاستعمار للكثير من الزوايا وتجنيده للكثير منها لخدمته[90]، وإن تمكن من تدجين بعض المشايخ وبعض الزوايا، إلا أن الكثير منها ظلت صامدة متمسكة بنهجها.

---

[83] أحمد الخطيب: المرجع السابق، ص 60.

[84] نفسه، ص 85.

[85] محمد العربي ولد خليفة: زاوية الهامل نموذج للإشعاع الروحي والصمود الثقافي، محاضرة ألقيت بمناسبة الملتقى الخاص بالذكرى المائة لوفاة سي محمد بن أبي القاسم بزاوية الهامل 1997/08/28.

[86] عمار طالبي: ابن باديس حياته وآثاره، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 1982، ص18.

[87] أبو القاسم سعد الله: أفكار جامحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988، ص ص24-25.

[88] محمد العربي ولد خليفة، المرجع السابق. 03.

[89] أبو القاسم (سعد الله)، الحركة الوطنية 1900-1930، مرجع سابق، ص 66.

[90] محمد العربي ولد خليفة، المرجع السابق، ص03.

**2- سياسة فرنسا تجاه المساجد**

كان الاستعمار الفرنسي يدرك غيرة الشعب على مقدساته[91]. ويدرك أيضا أن الإسلام يمثل المحرك الذي يوحد الشعب الجزائري[92] ولذلك عمل منذ استيلائه على الجزائر على محاربة هذا الدين وذلك بالقضاء على مقدساته[93].

فأخذا منذ اللحظات الأولى للاحتلال في هدم المساجد التي كان يتخرج منها المفتون والعلماء والقضاة والمدرسون والفقهاء وكانت ذرائع الاستعمار في عملية التهديم للمساجد دائما تدور حول قدم البنايات[94]

وعلى سبيل المثال حول مسجد كتشاوة سنة 1832 إلى كاتدرائية بعد قتل 4 آلاف جزائري اعتصموا به وحولت مسجد على بتشين سنة 1868 إلى كنيسة سيدة الانتصار، وفي وهران حول مسجد سيدي الهواري إلى مخزن عام للعسكريين وفي قسنطينة حول مسجد صالح باي إلى كنيسة، وفي تلمسان حول مسجد سيدي أبي الحسن إلى متحف، وفي معسكر حول مسجد العين البيضا إلى مخزن حبوب للجند[95].

وكانت نتيجة تلك السياسة الانحطاط الثقافي والجهل وهجرة العلماء وزوال دور المدينة، وتعطيل الدراسات الفقهية[96] خاصة بعدما قامت فرنسا بتصنيف رجال المساجد[97]

91 عيسى ابن القبي: المرجع السابق، ص 11.

92 عمار بوحوش، خصائص الثورة الجزائرية، مجلة الدراسات التاريخية، يصدرها معهد التاريخ، جامعة الجزائر، عدد 8 سنة 1994/98، ص 109.

93 احمد الخطيب: المرجع السابق، ص 49.

94 أبو القاسم سعد الله: مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي 1830 – 1954 دراسة مركزة على الجزائر – مجلة الثقافة – السنة 1404 العدد 79، ص 59.

95 أحمد الخطيب: المرجع السابق، ص ص 49 – 50.

96 أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، ص 174.

97 أنظر الملحق رقم 07.

## سياسة فرنسا تجاه الوقف:

الوقف أو الحبس تقليد إسلامي شكل أحد مظاهر الحضارة العربية الإسلامية التي تميز بها العهد العثماني في الجزائر[98] ولقد كان مصدر العيش للزوايا والمؤسسات الدينية والتعليمية الأخرى[99] وقد لعب دورا بارزا في الحياة الاجتماعية بتضامن المجتمع وترابطه وتوزيع ثرواته[100].

وقد رأت السلطات الاستعمارية خطورة بقاء هذا الوقف بأيدي أصحابه فهو حسب زعمهم مصدر الثورات[101] وتمثلت سياسة فرنسا اتجاه الوقف في القرار الذي أصدره الجنرال دي بورمونDebourmont [102] في 1830/9/8 وقرار كلوزال Clausel[103] المكمل له في 1830/12/8 والذي ينص على حق التصرف في الأملاك الدينية بالتأجير أو الكراء[104].

وبذلك ألغيت الأوقاف وألحقت ممتلكاتها بأملاك الدولة[105] وأسهمت هذه السياسة في تجهيل الجزائريين[106]، وكانت المؤسسات التعليمية من ضحايا هذه السياسة، حيث تعرضت إلى الغبن[107] فأدت إلى تضاؤل مستمر في تقديم الخدمات والمعونات للمؤسسات التعليمية[108].

والحقت المصاريف الناتجة عن المؤسسات الدينية بالميزانية الكولونيالية وفق قرار دلماس Dalmatie في 1834/3/23[109].

---

98 أبو القاسم سعد لله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص 223.

99 ناصر الدين سعيدوني الوقف ومكانته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالجزائر، مرجع سابق، ص 85.

100 أبو القاسم سعد لله: تاريخ الجزائر الثقافي المرجع السابق، ص 227.

101 خديجة بقطاش: أوقاف مدينة الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي 1830 – مجلة الثقافة – الجزائر العدد 62، مارس، أفريل 1981، ص 76.

102 ديبورمون: Debourmont : لويس الكونت ريسيميس ، ماريشال فرنسا، ولد في قصر بورمون، سنة 1773، تخلى عن خدمة نابوليون بونابرت بعد 1815، التحق بلويس الثامن عشر في غاند، أصبح وزيرا للدفاع 1829، وفي 1830، قاد الجيش الذي استولى على الجزائر، أنظر Petit la rousse illustre? Librairie la rousse 1984. p1183.

103 الجنرال كلوزال Clausel Petro يوم 1972/12/12، في ميريبوار، بفرسنا، تولى عدة وظائف في الجيش والسفارة الفرنسية في إسبانيا، وقيادة الجيش في سان دومينيك، حكم عليه بالموت عسكريا عام 1816، ثم عفي عنه، فأصبح نائبا في البرلمان، ثم تولى قيادة الجيش، في الجزائر بدل دوبورمون، يوم1830/08/07. أنظر سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1992، ص91.

104 أحمد الخطيب: المرجع السابق، ص ص 51 – 52.

105 Agéron, Les Algériens musulmans et la France 1871.1919 T: 1 Ed P.U.F Paris P 243.

106 Ibid

107 أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص 282.

108 نفسه، ص 282.

109 رابح كنتور: أوقاف البليدة وفحصها (1791 – 1873) مخطوط رسالة ماجستير قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة 2002 – 2003، ص 75.

ورفعت صفة المناعة عن الوقف وفق قرار 1844/10/10 وجاء شارون[110] وأصدر قراره بوضع المؤسسات الدينية تحت إدارة أملاك الدولة[111] وتبين من إحضار 1869 أن هذه الأوقاف تقدر بـ 2.300.000 فرنكا وتعطى عائدات تقدر بـ 132.912 فرنكا وتبين أن الإدارة باعت من أملاك الأوقاف ما قدر بـ 4.495.832 ف[112]. هذا ما قدرته السلطات الفرنسية وأظهرته.

وقد أدخلت أموالها في ميزانية الدولة الفرنسية لإنفاقها على جهود الحرب ضد المقاومة أو أعطتها إلى المستوطنين[113].

وهكذا بالسيطرة على الأوقاف تمت السيطرة على المساجد وتمسكت برقاب الأئمة والمفاتي والقضاة[114] وأدى ذلك إلى تضاؤل في تقديم الخدمات والمعونات للمؤسسات الدينية وتعرضت المؤسسات التعليمية إلى الغبن[115].

وقل عدد المتمدرسين فإذا نظرنا إلى الجدول التالي[116]:

| السنة | نسبة المتمدرسين فيمن هم في سن الدراسة |
|---|---|
| 1890 | %1.79 |
| 1900 | % 4.3 |
| 1912 | % 5.7 |

[110] شارون charon جنرال فرنسي ولد يوم 1794/07/29 تخرج برتبة ملازم من المدرسة التطبيقية بماتز، شارك في معركة واترلو 1815، وترقى إلى رتبة نقيب عام 1821، ثم عين في الجزائر برتبة عقيد عام 1839، ثم عميد عام 1840، ومارشال 1845، ثم جنرال 1848/06/10، توفي بباريس يوم 1889/11/26.

[111] Devoulx (A les edifices religieux de làncien Alger
Extrait de R A 1862, 1863, 1870, TYPO Bastide? Alger 1990. pp 47-48.

[112] كوليت وفرنسيس جونسن: الجزائر الثائرة، ترجمة محمد علي شريف خليل وهنري يوسف.
سرداد – وزارة الارشاد القومي – القاهرة 1957، ص 172.

[113] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، ص 282.

[114] أحمد الخطيب: المرجع السابق، ص 52.

[115] كوليت وفرنسيس جونس: المرجع السابق، ص ص 40 – 41.

[116] أحمد محساس: التعليم والثقافة في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية – مجلة الثقافة، الجزائر العدد، السنة الخامسة عشر، يناير – فبراير 1985، ص 63.

أدركنا النوايا الحثيثية للإستعمار والأسس التي بنا عليها يساسته والمتمثلة في تجهيل الشعب الجزائري، لقد كان لسياسة فرنسا تجاه الوقف انعكاسات خطرية على كل الأصعدة ونظرا لخطورتها فقد رأى المؤرخون أن هذه السياسة التي اتبعاه كلوزال من البوادر الأولى للاستعمار الديني، بل من الخطوات الأولى لمحو التراث الإسلامي بالجزائر[117].

## 4- سياسة فرنسا تجاه اللغة العربية

بعد تحقيق حكم مشروع الاحتلال اكتشف الفرنسيون أنهم أمام مجتمع يختلف عن مجتمعهم وثقافة تختلف عن ثقافتهم[118] وهذا بشهادة سياسييهم ومؤرخيهم، حيث كتب أحد الساسة قائلا: "في كثير من المدن عدد كثير من المساجد".

فأدركوا حينئذ أن تمسك الجزائريين بدينهم وبثقافتهم كانت وراء الثورات والانتفاضات والمعارضة[119].

لقد رأى الاستعمار بعد دراسات سوسيولوجية – تاريخية علمية أنه لا يمكنه السيطرة على هذا الشعب إلا بنشر لغته وثقافته بين أوساط الجزائريين ليسهل إدماجهم وبالتالي يسهل عليه البقاء ويكون نخبة في الجزائر تكون موالية له، وتخدمه ويكرّس الاحتلال ويحقق الأهداف التي جاء من أجلها[120] وتوجه نحو اللغة العربية وذلك بإعلان الحرب على المؤسسات التعليمية واختفاء الكثير منها كان يعني اضطهاد اللغة العربية واعتبارها لغة أجنبية وميتة، فأصبحت اللغة الفرنسية لغة الجزائر الرسمية منذ قرار الإلحاق 1834، وأهمل الفرنسيون تعليم اللغة العربية للجزائريين واكتفوا باستعمالها لأغراض إدارية استعمارية فقط. وبدأوا بإزالتها من المدارس الابتدائية والثانوية ثم إن تعليمها في الدراسات العليا لم يكن تثقيفا ولكن فقط لتحضير بعض الإداريين والمترجمين لإدارة الجزائريين قصد التعجيل بالاندماج[121] وحوربت اللغة العربية في التعليم العربي الحر[122] ولضرب اللغة العربية وثقافتها أسندت مهام التدريس في المدارس الحكومية إلى بعض المستشرقين الفرنسيين الذين لا يعرفون من اللغة العربية سوى مبادئها وظلوا يدرسونها قرابة قرن من الزمن بواسطة اللهجات العامية المعروفة[123].

---

117 أحمد الخطيب: المرجع السابق، ص80.

118 أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 111.

119 نفسه، ص 112.

120 محمد الطاهر واعلي: التعليم التبشيري في الجزائر (1830 – 1904) مخطوط رسالة ماجستير في علوم التربية جامعة الجزائر سنة 1988 / 1989، ص 57.

121 أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، ج 2، 1900 – 1930، ص 63.

122 رابح تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس – فلسفته وجهوده، ص 154.

123 عمار هلال: عدد 129.

أما الأساتذة الذين عينهم الفرنسيون لتدريس العربية فقد كانوا يسمون بأساتذة العربية الدارجة.

وبقرار 1892/10/18 أصبح ضرورة الحصول على رخصة لفتح مدرسة عربية[124].

ففي تقرير رسمي وضع سنة 1849 جاء << .. لا ننسى أن لغتنا هي اللغة الحاكمة فان قضاءنا المدني والجزائي والعقابي يصدر أحكامه على العرب، وبهذه اللغة يجب أن تصدر جميع اللغات الرسمية ، وبهذا يجب أن تكتب جميع العقود وليس لنا أن نتنازل عن حقوقنا فان أهم الأمور التي يجب أن نعتني بها قبل كل شيء هو السعي وراء جعل اللغة الفرنسية دراجة وعامة بين الناس>>[125]

وفي تصريح للضابط الفرنسي روفيغو : << إن إيالة الجزائر لن تكون حقيقة من الممتلكات الفرنسية إلا بعد آن تصبح لغتنا لغة قومية فيها ............ والمعجزة التي ينبغي تحقيقها هي إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية >> [126]

حيث يذكر معظم الدارسين لهذه الفترة آن الجزائريين أصبحوا يخشون على اللهجة العامية من الاختفاء بسبب سيطرة اللغة الفرنسية على شؤون الإدارة، التعليم ووسائل الإعلام ومختلف النشاطات الثقافية [127]

وهكذا قام النظام الاستعماري الفرنسي منذ بدايته على سياسة التجهيل قصد القضاء على دعائم المجتمع الجزائري المتمثلة في الثقافة واللغة العربية والدين الإسلامي الذي لم يتخل عنه المسلمون في شؤون حياتهم الدينية والمدنية وطالبوا دائما بفصله عن الحكومة، لكن الإدارة الفرنسية بقيت تتصرف في المساجد وموظفيها وأوقافها حتى وصل بها الأمر إلى إسناد بعض الوظائف الدينية للجنود[128]

وفي تقرير كتبه الجنرال دوكرو ( Ducret ) عام 1864 إلى نابليون الثالث جاء فيه مايلي :

---

[124] نفسه

[125]-تركي رابح : المرجع السابق ،(108)

[126] الإبراهيمي : أثار الشيخ محمد البشير الاراهيمي،ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع دون تاريخ (ص 332)

[127] تركي رابح : المرجع السابق ( ص 96)

[128] الإبراهيمي : المرجع السابق ،ج1 ( ص333)

<< ...يجب علينا أن نضع العراقيل أمام المدارس الإسلامية والزوايا كلما استطعنا إلى ذلك سبيلا>>[129]

غير أن هذا المسخ العربي والإسلامي لم يكن يتماشى مع التعليم المنطقي للثقافة الفرنسية وإنما كان يتماشى مع ضرورة محاربة الهوية الوطنية والذي لا يتحقق إلا بسياسة تجهيل حقيقة تهدف إلى السيطرة على الأفكار والتحكم فيها [130]

لقدكان التعليم القرآني وخاصة في الزوايا التي تعتبر حلقة وصل بين التعليم الثانوي والعالي معاديا للسياسة الفرنسية لذلك عملت على تحطيم هذه الحلقة وتجريد التعليم القرآني من كل حيوية وتعويضه تدريجيا بتعليم أكثر عقلية وعلمية –على حد قول الفرنسين–131

هذا التعليم العقلاني والعلمي لا يكون إلا بنشر تعليم فرنسي يخدم الثقافة الفرنسية ويعمل على تحويل المجتمع الجزائري إلى مجتمع فرنسي لا يتجزأ عن فرنسا ولديه القابلية للفرنسة والاندماج في مجتمع دولة الاحتلال132.

كما اعتبر أنجع الوسائل إلى امتصاص رد الفعل الشعبي على كل الممارسات الاستعمارية وهذا مابينه تقرير المرسوم الرئاسي سنة 1850 والذي ذكر فيه G.Doutemps :

<<...إن من أنجع الوسائل الى تهدئة كاملة للجزائر نشر معرفة اللغة والتعليم الفرنسي على الأهالي >>133

---

129 الإبراهيمي : من تصفية الاستعمار الى الثورة الفرنسية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ( دون تاريخ ) ، ( ص 73)

130 المجلة الثقافية، العدد 79، 1984، ص120.

131 /أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية ج2( ص 21).

132 تركي رابح :المرجع السابق ، ( ص 127)

133 أحمد محساس: التعليم والثقافة في الجزائر خلال الحقبة التاريخية مجلة الثقافة، العدد، 1985/85،(ص57)

وتجسيدا للسياسة الفرنسية بادرت السلطة العسكرية الى تأسيس المدارس العربية الفرنسية بمقتضى المرسوم الرئاسي الصادر في : 14 جويلية 1850 في كل من قسنطينة ، وهران ، عنابه والتي جاءت لتحقيق أهداف عسكرية وهي تكوين رجال يتأثرون بالثقافة الفرنسية ويساعدون على تحويل المجتمع العربي تدريجيا 134

لذلك عملت على إنشاء نظام تعليمي ثابت ومتكامل موجه لأبناء المعمرين من جهة وأبناء الجزائريين من جهة أخرى ممن أرادت فرنسا من خلالهم خدمة سياسة الإدماج والالتفاف حول مطالبها. لقد قام الاستعمار بمطاردة اللغة العربية في كل مجالات الحياة في الجزائر فأبعدها أولا عن الإدارة، حيث اللغة الفرنسية هي وحدها لغة العمل الرسمي ما عدا محاكم الأحوال الشخصية الإسلامية، حيث بقي العمل فيها يجرى باللغة العربية، وكذلك في إدارة مناطق الجنوب الصحراوية التي يقطنها عدد قليل من الجزائريين.

لقد انفردت اللغة الفرنسية بالميدان حتى إن بعض الجزائريين في مرحلة الدراسة أصبحوا يخشون على لهجة الحديث العامية التي تندثر في البلاد لكثرة ما تشابه من كلمات فرنسية دخيلة تسربت إلى ألسن الجزائريين بسبب سيطرة اللغة الفرنسية على شؤون الإدارة والتعليم ووسائل الإعلام ومختلف النشاطات الثقافية[135].

[134] نفسه : (ص 59)

[135] رابح تركي: المرجع السابق، ص 92.